المحاضرة 2: جون ستيوارت مل(1806_1873)

تمهيد:

جون سيتورات مل فيلسوف واقتصادي انجليزي يدان له خاصة بمنظومة المنطق الاستقرائي والاستنباطي عام 1843 تجريبي مطلق، تأثر بديفيد هيوم وجيرمي بنتام، تستبعد سيكولوجيته قبليا كل تدخل للعقل وحدها التجربة يحسب لها حساب، كان أبوه فيلسوف وعالم اقتصاد ومؤرخ صديقا لجيرمي بنتام أسس حركة تدعى "الفلاسفة الراديكاليون" انضم إليها جون ستيوارت مل أصبح عضوا فعالا فيها اشتهرت هذه الجماعة بتبنيها للنزعة النفعية الأخلاقية والسياسية وهي فلسفة كذلك كانوا يعتقدون أنها ستغير الواقع السياسي في البيئة الغربية، تعلم اللغة اللاتينية، درس في مرحلة مبكرة الفلسفة، علم الاقتصاد، السياسة وبتأثره بجرمي بنتام أصبح فيلسوف نفعي ملتزم، تعلم الشعر، تولى منصب رئاسة الجامعة بسنت أندروز اسكتلندا عام 1865_1868.

قدم جون ستيوارت مل العديد من المؤلفات منها:

_ نسق المنطق 1843

_ مبادئ الاقتصاد السياسي 1848

_ في الحرية 1859

_ النفعية 1861، استعباد النساء 1869، ثلاثة مقالات في الدين 1874، أفكار في الشعر وتنويعاته 1833 بالإضافة إلى مؤلفات أخرى.

2_ فلسفة جون ستيوارت مل:

يعتبر مل أحد الشخصيات البارزة في لبقرن 19 قدم العديد من الإسهامات في الكثير من المجالات السياسية الثقافية، الاجتماعية، الأخلاقية، الفلسفية، وقد شكلت الميتافيزيقا والابستمولوجيا التي قدمها مل فكرا متميزا عبر عن التجريبية الإنجليزية بامتياز، أخذ أفكار ذات أهمية كبيرة في حقل التجريبية من باركلي، ديفيد هيوم من خلالها قدم نظرة نقدية قدمت الكثير من البدائل في المنهج والفلسفة التجريبية.

أسس مل لنزعة تأسيسية راديكالية مكنته من توظيف المنهج والتفكير الاستقرائي، بهدف الانتقال من المعرفة الغير الاستدلالية بالظواهر الذاتية إلى عالم الفهم المشترك والعلم رغم ذلك لم تلقى هذه المحاولة ترحيبا عند الفلاسفة الحدثيين والمعاصرين لأنه لم يكشف بالقدر الكبير عن الحقيقة التي تميزت بها

شخصيات من أمثال ديكارت، هيوم باركلي اتهم بأنه فيلسوف لم يفعل شيء سوى أنه طور أفكار فلاسفة سابقين مثلا في معنى الاستقراء، مبدأ العلية وذلك ما قلل من اسهامه في الفكر الفلسفي عموما.

إن بداية جون ستيوارت مل هي معارضة للمذهب العقلي، والمذهب العقلي الذي يقر بأن العقل أصل المعرفة في نظره يمارس نوع من الكسل في العملية الإدراكية والمعرفية، يحافظ فقط على ما هو قديم والعقلانيون عندما يعالجون مشكلة معينة يقولون بأن العقل يرى كذا، فسر كذا بطريقة كذا أي أنه هو السلطان في نظر مل رغم إلا أن العقل يحتاج إلى عنصر يكمله ويساعده في عملية البحث عن حقيقة الأشياء، ذلك العنصر هو التجربة، ومل هنا حاول نقد المذهب العقلي بالمنهج التجريبي وبين أن كل الأفكار آتية من التجربة، وأن كل العلاقات التي هي موجودة بين مختلف الظواهر تفسر بقوانين علمية تجريبية والعقل يعجز كذلك عن الوصول إلى حقيقتها (كرم، 1976، صفحة 344).

بين أن العقل يجعلنا ندرك فقط ما تحت الحس ولا يستطيع إدراك العلاقات بين الظواهر التي يراها متعاقبة فقط أي تعاقب ألي مادي، وبين مل أنه يستطيع أن ندرك ظواهر معينة، متى هناك للظاهرة تلازم في تجربتي. (كرم، 1976، صفحة 344).

3_ المنطق:

يرفض مل التسليم بوجود منطق صوري بحجة أن الفكر لا يكون صحيحا حقا، إذا غض النظر عن مادة المعرفة ومل يرفض فكرة تطابق الفكر مع نفسه، لأن الفكر لدى أنصار المذهب الحسي والتجريبي لا يتعين أن يكون الفكر مستقل عن الموضوعات.

المنطق عند مل لا يهتم بالحقائق المدركة إدراكا مباشرا في التجربة، بل هو علم تدليل، ينفي مل وجود المعنى المجرد في الذهن واستحالة تصور ماهية خالصة. (كرم، 1976، صفحة 345)

انتقد القياس الأرسطي وقدم مثال هو أنه عندما نقول أن كل الناس ميتون حيث يستحيل صياغة مقدمة كبرى بهذه الكيفية لاستحالة التحقق من موت كل الناس، حتى يتم التحقق من موت كل فرد، القياس ليس استنتاج الجزئي من الكلي ولا الكلي من الجزئي، بل هو استنتاج الجزئي من الجزئي، حين يموت إنسان نستدل بالذين ماتوا قبله فقط حتى لا تكون هناك مصادرة. القياس النتيجة فيه مكتسبة وفقا للمقدمة الكبرى.

إن الاستدلال هو استدلال الجزئي على الجزئي، الاستقراء العلمي هنا هو استدلال الجزئي على الكلي

معناه وضع قانون بسبب ما، أي العودة إلى ما هو جزئي. وبالتجربة يتضح أن في الطبيعة نظام تعاقب كل ظاهرة تسبقها علة معينة فيه كل ظاهرة مسبوقة بأخرى، وذلك السابق هو علة واللاحق معلول وفي شرحه لذلك وضع مناهج عدة هي:

أ_ الاتفاق

ب_ التلازم في الوقوع

ج_ الاختلاف

د_ التغير النسبي: تغير المعلول بنية تغير العلة

هـ_ البواقي الظواهر الباقية: هي علة الأجزاء الباقية.

لو لم تكن هناك علة فاعلة لما كانت هناك ضرورة. (كرم، 1976، صفحة 348)

4_ المنطق والابستمولوجيا:

الحقيقة عند مل لها طريقين:

أ_ طريق الادراك المباشر: هو طريق الحدس.

ب_ طريق إدراك عبر واسطة: هو طريق الاستدلال.

يبين جون ستيوارت مل أن المعطيات التي ندركها مباشرة ودون واسطة هي معطيات كانت موجودة وسابقة في الذهن، مثل الاحساسات، العواطف، المعتقدات والقضايا التي تصف لنا حقيقة وحوادث الظواهر، هذا يعرف بنوع من الضرب الاستقرائي أو التخريج الاستقرائي، اقتنع مل مثل أسلافه هيوم بأننا لا نستطيع الوصول الى أية نتيجة تتجاوز مجال الظواهر، غير أن مل خلافا لهيوم وقريب من باركلي يرى أنه بمقدورنا المصالحة بين هذه النتيجة وأحكام الفطرة، إذا فهمنا حقيقة معتقداتنا السابقة نجد أن ثمة معتقدات يجب تجاوزها وربما تصحيحها ومن خلالها نستطيع أن نصل إلى نتيجة أو هدف معين (فمرتون، 2011، صفحة 208).

5_ المعرفة وعلاقتها بالعالم الخارجي:

يطرح جون سيتورات مل قضية محتواها أنه علينا الفهم بوضوح محتوى المعتقدات الخاصة بالعالم الطبيعي الفيزيقي، ويجب علينا فهمها على أنها معتقدات في خدمة وإمكان الإحساسات الدائمة، وكل

الاستدلالات الحقيقية هي تخريجات استقرائية، ومل يعتقد أن كل الاستدلالات الاستقرائية هي من عينات على عينات (فمرتون، 2011، صفحة 218). من هنا تكون المعرفة هي استقرائية لما هو موجود في العالم الخارجي، إن الأشياء الموجودة في العالم الخارجي هي موجودة حقيقة والانطباعات التي تحدثها فينا هي ليس لها معنى دون استقرائها.

في الأخير يكون مل من الفلاسفة الذين يؤمنون بالتجربة، وحتى الخبرة الحسية المسبقة والتي ربما يحتويها الذهن لكن فقط تقبلها يشترط المصالحة معها أي القيام بفحصها قبل تقبلها والعمل بها.

تعتبر واحدة من أبرز الفلسفات التي تركت بصمة في الفكر الأخلاقي والسياسي. يمكن تلخيص فلسفته بتأكيده على أهمية تحقيق السعادة والمنفعة العامة للجميع.

تنطلق فلسفة مل من مبدأ الاستقراء الحثيث للواقع والتجربة البشرية، وتركيزها على النتائج العملية والمنفعة الملموسة للفرد والمجتمع. يؤمن مل بأن السعادة تعتبر الهدف الأسمى للحياة، وأن تحقيقها يتطلب السعي نحو تحقيق المنفعة الأكبر لأكبر عدد ممكن من الأفراد.

بالإضافة إلى ذلك، يرى مل أن الحرية الفردية وحقوق الإنسان تشكل أساسًا أساسيًا لتحقيق السعادة والرفاهية الجماعية. ويعتبر أن التدخل في المجتمع ينبغي أن يكون موجهًا نحو تحقيق المنفعة العامة وضمان العدالة الاجتماعية دون المساس بحرية الفرد.

بشكل عام، فلسفة جون ستيوارت مل تعتبر دعوة لتحقيق التوازن بين حرية الفرد والمسؤولية الاجتماعية، من أجل تحقيق السعادة والرفاهية للجميع دون التضحية بالحريات الفردية.

خاتمة:

بعد استكشاف فلسفة جون ستيوارت مل، نجد أنها تعكس رؤية متوازنة للحياة والمجتمع، حيث يجتمع فيها بين قيم الحرية الفردية وضرورة تحقيق المنفعة العامة. فلسفة مل تلهمنا للسعي نحو تحقيق التوازن بين حرية الفرد والمسؤولية الاجتماعية، بغية تحقيق السعادة والرفاهية للجميع.

في زمنٍ تتزايد فيه التحديات الاجتماعية والسياسية، تظل فلسفة مل تقدم لنا إطارًا قيميًا لفهم كيفية بناء مجتمع مزدهر يحقق العدالة والحرية للجميع. ومن خلال التفكير العميق والتحليل الدقيق، يمكننا أن نستلهم من مبادئه الفلسفية في بناء عالم يتسم بالتعاون والتضامن.

فلسفة جون ستيوارت مل، بمفهومها الشامل للحرية والمسؤولية، تظل تذكيرًا بضرورة التفكير العقلاني والتصويب الأخلاقي في مساراتنا نحو السعادة والتقدم. فلنستلهم منها الحكمة والتوازن في سعينا لبناء مجتمع أكثر عدالة وتسامحًا، حيث يكون الحرية والمنفعة العامة هدفًا مشتركًا للجميع.